

# السُّيُوفُ القلعيّة

د. عبد الكريم اليافى

## مقدمة :

يروى عن عبد الله بن عباس أنه قال : « اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فاطلبوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب » .<sup>(1)</sup>  
ويقول أبو فراس الحمداني :

**الشعر ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب**

ويذهب الحريري صاحب المقامات المشهورة على لسان أبي زيد السروجي هذا المذهب في المقامة الشعرية ، وهو أن الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب .  
كون الشعر عنوان الأدب معناه عندنا أن الشعر بصيغته الكاملة ، وأدائه المتقن ، يعلم المرء حب الاتقان ويدربه على ابتغاء الكمال فيما يعمل وعما يصدر . وقول الحريري انه ترجمان الأدب معناه أنه يشف عما يحمل الأدب في ثناياه من أغراض متعددة حسبما يفيد لفظ الأدب قديماً من الاشتغال على المعارف المختلفة . أما الديوان فهو السجل الواسع الذي يضم بصحائفه كل ذلك ويقيده .

وهذا يدل على مكانة الشعر القديم في رحاب التراث العربي الاسلامي .  
وحقاً نجد الشعر العربي في تلوده الأصيل وقدامته الموهلة في

أعماق التاريخ يصور حياة العرب ويحمل في تضاعيفه أخبارهم ونصيباً  
ضخماً من مذاهبهم ويتضمن نبضات قلوبهم وثمرات قرائحهم ويمسك بصور  
أخيلتهم ويلمع بشأو مقاصدهم ويحتوي على كنوز عواطفهم وألوان تجاربهم  
ورهاقة اشاراتهم ومكارم أخلاقهم ومختلف عاداتهم ومتباين نزعاتهم ،  
كما يستوعب ما استطاع من مفاتيح<sup>(٢)</sup> لغتهم ومتمايز لهجاتهم . هذا الى جوانب  
الأمور الفنية ايجازاً واسهاباً ، حقيقة ومجازاً ، تلميحاً وتصريحاً، الى غير ذلك  
من ضروب البيان وأفانين التعبير .

ولهذا كلما وقع بين يدي ديوان شعر جمعه محقق فاضل لأحد الشعراء  
القدماء أسرع الى مطالعته وتأمل بيانه وأخف الى تفهم معانيه والطواف بأبياته  
ومبانيه . وآخر ديوان طالعته شعر منصور النمري جمعه وحققه وخرّجه  
وقدّم له السيد الطيب العشاش وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق .

وحسب المرء أن يطالع الكتاب ليدرك ما عاناها جامعه في مختلف المظان من  
عنت ويقدر الفكر العلمي الذي سار على هداه حين دبّج المقدمة ورتب الأشعار  
ودل بالتخريج على مواطنها من الأسفار وأورد اختلاف رواياتها ، كما أورد في  
تعليقاته المناسبات التي قيلت فيها .

كذلك ذكر نسب الشاعر وولادته وقسطاً من أخباره وعلاقته ببعض  
شعراء عصره وبذوي السلطان ثم بالخليفة وأشار الى مذهبه السياسي<sup>(٣)</sup> .  
وفي قراءتي للديوان تمهلت عند القطعة الشعرية التي وصف فيها الشاعر  
سيفاً قلعيّاً جاء في مطلعها :

يكفيك من قلع السماء مهند	فوق الذراع ودون بوع البائع
صافي الحديد قد أضر بجسمه	طول الدياس وبطن طير جائع
أمر المواطن والرياح بحمله	فحملنه لمضاير ومنافع

وقد خرج المحقق أبيات القطعة متفرقة من وحشيات أبي تمام ومن كتاب  
الحيوان للجاحظ ومن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ومن كتاب  
الأشباه للخالدين . وبقية أبيات القطعة التي أغفلناها هنا كلها جميلة وممتعة  
ولكنها ليست موضوع بحثنا .

أورد الجاحظ وهو ما هو في سعة العلم وافتنان المعرفة في الجزء الخامس ص ٨٨ من كتاب الحيوان<sup>(٤)</sup> البيت الأول دون أن يسمي قائله وذلك في سياق كلامه على الصواعق فقال : « وزعم كثير من الناس أن بعض السيوف من نيران الصواعق وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهول الحميري ( وهو معاصر لمصور النمري في مديحه للخليفة العباسي موسى الهادي<sup>(٥)</sup> ) :

حاز صمصامة الزبيدي من بي      من جميع الأنام موسى الأمين  
سيف عمرو وكان فيما سمعنا      خير ما أطبقت عليه الجفون  
أوقدت فوقه الصواعق ناراً      ثم ساطت به الزعاف المنون

ثم يورد أبو عثمان بيت النمري دون أن يسميه كما ذكرنا ولكن على الشكل :

يكفيك من قلع السماء عقيقة      فوق الذراع ودون بوع البائع

أي طول السيف فوق الذراع ودون الباع

ويعقب شارحاً لفظ العقيقة : « قال الأصمعي ، الانعقاد تشقق البرق ومنه وصف السيوف بالعقيقة وأنشد ( قول عنتره ) :

وسيفي كالعقيقة وهو كمعي<sup>(٦)</sup>

وقال الأخطل :

وأرقني من بعد ما نمت نومة      وعضب اباطي كالعقيق يمان<sup>(٧)</sup> »

هذا الموضوع وهو أن بعض السيوف آتية من السحاب أو من نيران الصواعق ذو علاقة بالأنثروبولوجية الحديثة . ونحن نريد جلاء هذه العلاقة لبيان اتساع دلالات الشعر العربي القديم وكثرة فوائده وأنه مناجم غنية بعناصر البحث من كل ضرب .

### ● معنى السيوف القلعية :

ولما كان بيت النمري قد ذكره البيروني في كتابه « الجماهر » الصغير حجماً الكبير فائدة فلا بد من أن نعرض أول الأمر كلام أبي الريحان لمكانة هذه العلاقة

ونبين فهمه للبيت وشرحه للفظي القلع والقلمي ولو تطاول العرض لأن فيه زيادة ايضاح ولا سيما أن هذا البحث ذو صلة أيضاً بكيمياء الحديد وبالتعدين .  
هذا وربما تساءل المترجمون عن الألفاظ العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية الحديثة في هذا المجال من كيمياء هذا الفلز . فلعل في هذا الشرح افادة .

يقول البيروني : « والحديد معدنه ينقسم الى قسمين أحدهما لين يسمى النرمان ويلقب بالأنوثة ، والآخر صلب يسمى الشابرقان ويلقب بالذكورة لصرامته وهو يقبل السقي مع تأبّيه لقليل انثناء ... »

ومن الشابرقان سيوف الروم والروس والصقالبة . وربما قيل له قلع بنصب اللام ويجزمها فيقال : تسمع للقلع طيناً ولغيره بحا . ونسب اليه نوع من السيوف فسميت قلعية .

وظنها قوم منسوبة الى موضع كالهندية واليمانية والمشرقية<sup>(٨)</sup> فقالوا انها تحمل من « كله »<sup>(٩)</sup> كما يحمل منها الرصاص . وينسب اليها القلمي . وهي سيوف عراض ولا تبعد أن تشبه لبياضها في أشعار العرب على اضطرابها فيه<sup>(١٠)</sup> قال ( عامر المحاربي ) :

نراوح بالصخر الأصم رؤوسهم اذا القلع الرومي منها تثلما<sup>(١١)</sup>

فقد أشار الى الشابرقان اذ ليس للروم سيوف غيرها .

قال العجاج :

قد أحدثت رومية القيون أبيض من ماء الحديد الجون<sup>(١٢)</sup>

وقال :

اني اذا الموت كسع أضربهم بنذي القلع<sup>(١٣)</sup>

أي الحديد المتخذ منه السيوف القلعية ، وأخرجه مُخرج صفة السيوف كذي الفقار وذي الشطب . وقال ابن الرومي .

يكشف الدهر منه في تصرفه عن مُنصل قلعي من مناصله »

ويعرض البيروني المستبحر في اللغة العربية استبحاره في علوم آخر شتى  
معاني القلع . فقد ورد في الشعر القلع بمعنى العلق قلبه الشاعر للقافية والقلع  
الشراع والقلع السفن والقلع رؤوس الجبال ثم يقول : والقلع السحاب .  
والسحاب يشبه بالجبال والحديد يستنبط منها وباشتراك الاسم نقل الحديد الى  
السما . وقال الهذلي :

### يكفيك من قلع السماء مهند . . . البيتـين

ويلق أبو الريحان قائلا : «والبيت الأول لا يمتنع به خلق الحديد ومعنى  
الانزال المذكور مصرحاً فيه بالسما . ولم يرد بالمهند نسبته الى الهند . لكنه  
جعل ذلك اسماً للسيف صفة لازمة له . ثم في البيت الثاني أفصح بما قالوا ان  
نار الصاعقة تخرق الأرض وتسوخ فيها فيُحفر في أثرها فيها ويخرج منها  
حديدة تتخذ منها السيوف القلعية . ومعنى بطن طير أن تلك الحديدة تقطع  
وتحمى حتى تصير كالجمرة وتلقى للنعماء ليذهب عنها الغبث في بطنها وتذرقها  
صافية صالحة يطبع منها السيوف حينئذ ثم تداس بالمداس وتجلس  
بالصقل . . . »

ويذكر البيروني ما ورد في بعض الكتب من «أن الصواعق اذا حدثت ارتفع  
ما تخلص منها . وما احترق من الجو من الأجزاء القطومة وقع الى الأرض » .  
وينتبه الى أنها نوع من النار ( هي في اصطلاحنا الحديث كهرباء منفردة من  
السحاب الى الأرض ) فيقول : «وقد قيل في الصاعقة انها ألطف من الهواء  
ومن الذي عندنا من ضرام النار بدليل غوصها فيما تخلخل من غير اضرار بها  
واذابتها ما استحصف مما يقبل الذوب » .

مؤلف الجماهر عالم متمرس بالتجارب والأمور المحسوسة المشاهدة . وكأنه  
يصعب عليه تصور سقوط الحديد من السما فيرى أن الحديد الساقط على الأرض انما  
تحمله الرياح الشديدة التي تكون في الصواعق من مكان على ظهر الأرض أو  
في بطنها الى مكان آخر فيقول : « فليس الا الريح مع الرعود والبروق والصواعق  
وهي سببها تحمل الفلزات من مواضع أخر اما من ظهر الأرض واما مرمية  
بالمردغات<sup>(١٤)</sup> من بطنها . يشهد له الحديد الواقع منذ سنين بالجوزجان اذ

كان أنجرأ بحرياً على ما شاهد أحد المحصلين فيه من مشابهه بعد تغير شكله  
بما غشيه من الاحماء في قوة الرمي . ولم يكن جوهره بجيد اذ ليس يختار  
الأناجر من أجود الحديد فان الغرض فيه الثقل فقط . وكذلك الذي أمطرت  
قرية طاعون من قرى بوشنج في يوم سماء مصحية من الفلزات المشابهة  
للصنفر الرديء مجدرة كخبث الحديد حامية كان الماء ينش منها اذا وقعت فيه  
وهي من من الى مناوين «(١٥)» .

★ ★ ★

نعلق أول الأمر يلزوم التفريق بين صلة السيوف بالصواعق وصلة بعض  
السيوف بالحديد النازل من السماء .

ان السيوف والأسنة المحددة تلمع عند جلائها فهي تشبه البرق في لمعانه  
خلال الصواعق . لذلك شبهت بها . وكذلك لما كانت الصواعق ذات روعة  
ورهة وقد تدمر ما تصيبه قوت رهبتها وروعتها وشائجها بالأسنة والسيوف .  
فلا غرو اذا غبر الكتاب والشعراء القدماء ينوهون بتلك الوشائج ايحاء بالوجل .  
لذلك لما كانت السيوف والأسنة تلمع وكانت الكواكب والشهب الثاقبة  
ذات بريق وسنا أخذ جرى تشبيه بعضها ببعض . الى جانب الأبيات الآتية نتذكر  
بيت بشار الرائع :

كان مثار النفع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وبيت أبي تمام المزخرف الذي يقابل بين شهب الأسنة والشهب الكواكب  
السبعة :

والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقول بن هانيء يمدح المعز ويصف سيفه :

واذا استضاء شهابه بطل رأى صور الوقائع فوقه تغيلا

واذا تدبره تدبر علة للنيرات ونيراً معلولاً (١٦)

البيت الثاني هذا غريب يشمل لفظين فلسفيين وهما العلة والمعلول .  
يريد أن يقول : ان نوره انتقل الى النجوم فكان سبب انارتها وان نور النجوم

انتقل اليه منها • ومعنى ذلك ببساطة أن بريقه يذكر ببريقها وان بريقها يذكر ببريقه • ولكن بيان الفكرة فلسفي ( هل نقول بين الطرفين فِعْل جدلي؟! )

ثم ان البيت الذي نحن بصدده : « يكفيك من قلع السماء مهند ••• »  
ينقلنا الى أمر آخر وهو أن بعض الشهب الثاقبة التي تقع على الأرض صنع من حديدها ذلك السيف • ونريد أن ننبه على أمر وهو أن الشهب دائمة السقوط على الأرض وليس صحيحاً تخصيص سقوطها بزمان الصواعق • ولكن التخصيص جاء من الوجه الذي أشرنا اليه •

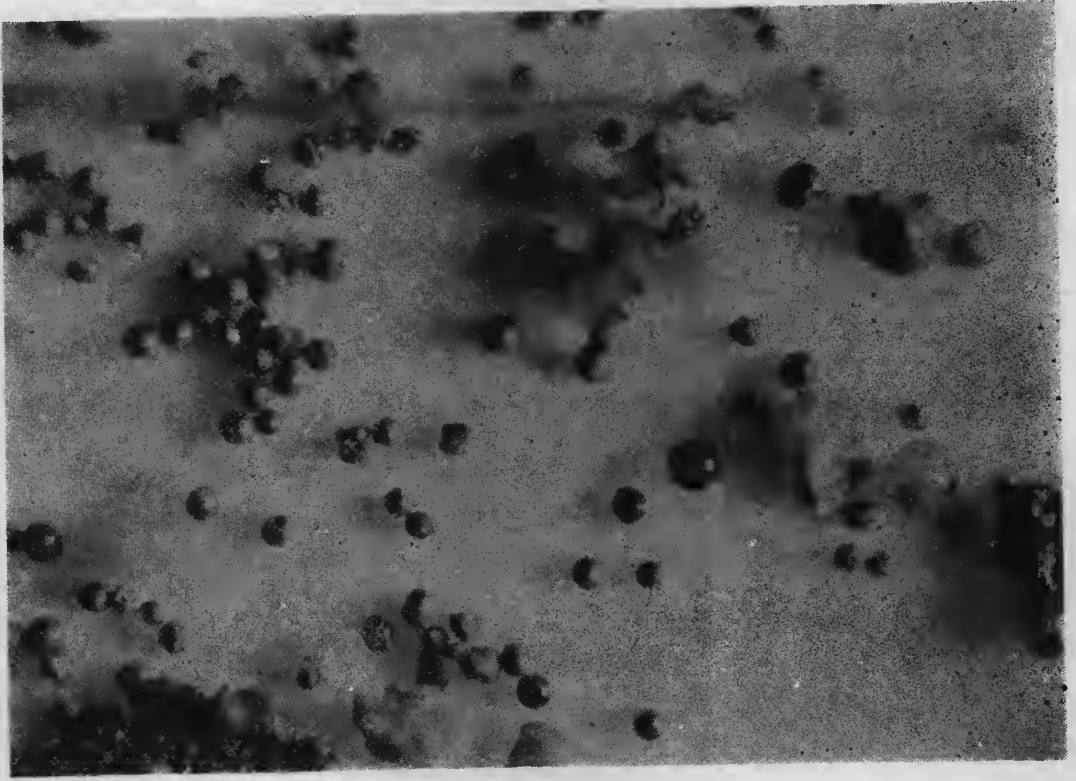
وعندنا أن النمري قد أفاد مما توارثه القدماء في شأن الحديد وحصيلته أن بعض السيوف البتارة انما صنعت من حديد النيازك الواقعة فوق أديم الأرض. ولما كانت هابطة من السماء حملت معها بعض الأسرار الخفية من القوة والمضاء كما يوحي بذلك الشعر الذي ينوء بصمصامة الزبيدي ويبرم الصلة بين الصواعق والسيوف •

وهكذا يفضي بنا شعر النمري الى ايضاح مقالات الشعراء في ذلك والى قضية صنع السيوف والسكاكين من حديد النيازك والشهب في العهود القديمة والى بيان شأن الحديد الذي في الشهب والنيازك ثم الى التنويه بقيمة الحديد عامة •

### ● الحديد والأنثروبولوجية الحديثة :

كتب العالم الأنثروبولوجي ومؤرخ الديانات مرسيا الياد كتاباً صغيراً جيداً عنوانه « الحدادون والكيمائيون القدماء »<sup>(١٧)</sup> فيه معلومات زاهرة في هذا الميدان ننقل بعضها مما يناسب الموضوع ونتجاوزه حين يتعلق البحث بالألفاظ العربية المتصلة به •

لقد استعمل الأقوام البدائية الحديد الساقط من السماء حجارة ونيازك وشهباً قبل أن يستعملوا الحديد الذي على سطح الأرض والذي هو محتاج الى التعدين والمعالجة • ان مرسيا الياد لا يذكر سبب الأسبقية • ولكننا نعلم الآن أن حديد النيازك قد يعثر عليه وهو بصفة معدنية خالصة • ويعتبر بسبب خلوصه



■ صورة لفبار « الآثار العلوية » ■

أنه قد مر في سقوطه بجو مرجع حسب التعبير الكيماوي أي سلب منه عنصر الأكسجين الذي كثيراً ما يكون متحداً به • والجو المرجع معناه أن يكون مشبعاً بغاز الهيدروجين أو النشادر أو أمثالهما على حين أن حديد الأرض يصادف في مركبات متعددة ولا سيما المركبات المؤكسدة كحجارة الحديد الدموية وحجارة الحديد المغناطيسي ، على أن بعض الحجارة السماوية تشمل أيضاً حديداً مركباً كما سنرى في تعرضنا لطبيعة النيازك في « الآثار العلوية » على حد تعبير العرب واليونان •

كان الانسان القديم يستعمل المعادن وفلزاتها على أنها ضرب من الحجارة ويعتمدها أدوات له في معاشه قبل أن يتعلم صهرها واذابتها •

ووجد العلماء أن قبائل الاسكيمو في غرنلند كانوا يصنعون المدى والسكاكين



من الحديد السماوي بتطريقه بمطارق من حجر الصوان الصلد أو مما يسمى  
باللغة العربية الظِرَّة<sup>(١٨)</sup> والظُرَر أو الظُررة .

كذلك يروى أن القائد الاسباني هرندو كرْتيز الذي احتل المكسيك  
كان اذا سأل قبائل الأزتيك من أين يأتون بمداهم وخناجرهم أروه السماء .  
كانت تلك القبائل تستعمل الحديد النيزكي . مثلهم في ذلك مثل قبائل المايا  
في يوكتان وقبائل الانكا في البيرو . كانوا جميعاً يؤثرون هذا الحديد على  
الذهب . وكانوا جميعاً يجهلون صهر المعادن . وكذلك كان الانسان في عصور  
ما قبل التاريخ . فلم يعثر علماء الآثار على أثر للحديد الأرضي في مواطن  
الانسان القديم لتلك العصور .

وكانت شعوب الشرق القديمة يستعملون أول الأمر حديد الآثار  
العلوية . يذكر الياد أن اللفظ السومري أنبار هو أقدم لفظ يدل على الحديد  
ويتألف من مقطعين هما السماء والنار . ترجم العلماء هذا اللفظ بالمعدن السماوي  
وبالمعدن النجمي . وترجمه كامبل تومسون بالبرق السماوي . وهو غير اللفظ العربي  
الذي له عدة معان كما يدل على بلد قديم بالعراق . وقد غبَر المصريون  
القدماء حقبة طويلة لم يعرفوا فيها الاحديد الآثار العلوية ولم يظهر استعمال  
الحديد الأرضي قبل الأسرة المصرية المالكة الثامنة . واستعمل  
الحثيون الحديد الأسود من الحجارة السماوية . يذكر المؤرخون أن هذا  
الحديد عرف في جزيرة قريطس في عهدها المتقدم على الميلاد بعشرين قرناً . ثم  
ان اللفظ اليوناني سيديروس Sideros معناه الحديد واشتق منه سيديروجي أي  
جملة صناعة الحديد . وقرب علماء اللغة بينه وبين مشتقاته في لغات أخرى .  
قربوه من اللفظ اللاتيني Sidus, Sideris ومعناه النجم وجمعه في اللاتينية  
Sidera أي السماء كما قربوه من اللفظ اللتواني سفيدو Svidu  
بمعنى لمع .

ان استعمال حديد الآثار العلوية كان ضئيلاً ونادراً جداً . ولذلك كان  
أهم عند الانسان القديم من الذهب كما قلنا آنفاً . وكان استعماله متلبساً  
بالقداسة . ولم يكن ذلك الاستعمال كافياً لكي يهيء ما يدعى بالعصر  
الحديدي الذي هو المرحلة الثالثة من مراحل تقدم الحضارة في عصور ما قبل

التاريخ • فالمرحلة الأولى العصر الحجري والمرحلة الثانية العصر الصفري أو البرونزي • وقد اتخذ الانسان حديد السماء أداة صالحة له حين عشر عليه في غضون ذينك العصرين الأول والثاني دون أن يكون ذلك شائعاً شيوعاً يجعله مختصاً بأحدهما •

كان ينبغي للانسان أن يعثر على طريقة صهر الفلزات لكي تلوح غرة عصر جديد هو عصر المعادن والحديد • ولما استطاع الانسان معالجة الحديد الذي في الأرض وتعدينه انتشر التعدين اذغدا الانسان يجد مقادير كثيرة من حجارة الحديد وفلزاته كحجارة الحديد الدموية ( نسبة الى اللون ) والحديد المغناطيسي وقد سبقت الاشارة اليها فيصهرها بالأفران ويوصل درجة حرارتها الى الاحرار الأبيض من أجل تقسية الحديد لكي يرأس تعدينه تعدين بقية المعادن المعروفة اذ ذاك كالنحاس والصفري ( هو خليطة أوأشابة تتألف من النحاس والقصدير ) ويقدر الباحثون بداءة ذلك العهد حوالي ١٢٠٠ - ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، مع أن الحديد السماوي والحديد المصادف على طبقات الأرض السطحية قد عرفا منذ الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين ( في تل أسمر وتل شفر بازار وماري ) وفي الأناضول ( ألاكهيوك ) • واستمرت معالجة الحديد على غرار معالجة الصفري حقبة كما استمرت معالجة الصفري قبل ذلك حقبة على غرار معالجة الأحجار •

بقي الحديد مدة طويلة في ذلك العصر يتخذ تماثم وتماثيل وأدوات زينة ذوات صفة قدسية • ثم لما ان جاء عصر المعادن والحديد لبث الحديد نفسه ذا قيمة معنوية قبل أن يستفحل أمره ويعلو شأنه في الصناعة والحرب وقبل أن تغيّر مواضع استعماله الواسعة المتعددة وجه المعمورة •

كذلك لما ازدادت مكانة الحديد باستغلال مناجمه في الأرض انتقلت قدسية الحديد السماوي الى الحديد الأرضي وتسربت بالتدرج الى المناجم والفلزات عامة بل انتقلت الى معاليج الحديد نفسه وهو الحداد الذي يتنقل من مكان الى آخر يتحرى في تنقله هذا الفلز ويقوم بأداء طلبات شتى يكلفه اياها الناس ••• وثمة علاقات متعددة وغريبة نشأت بين كور الحداد والحداد

نفسه والسحر وحرفة الحدادة المسيطرة على النار والجمعيات السرية • وكذلك العمل في المناجم والتعدين ذوا صلة بالأرض الأم وبمسألة التوليد •

وأياً كان الأمر فلا شك أن للحديد سماوياً وأرضياً شأناً يتسم بالتقديس لبأسه ولمنافعه الواسعة في الحياة ولانشائه حضارة جديدة هي حضارة الحديد • انه أداة طيعة في معالجة الأرض وشقها وأداة صالحة للتغلب على الخصوم والقضاء على الشر • وهو في الوقت نفسه يحمي من بأس الآخرين ويمنع بالدرع والخوذة آثار وقع السهام والسيوف • وقد قالت العرب : لا يفل الحديد الا الحديد ، ولا يفلح الحديد الا بالحديد ، وان الحديد بالحديد يفلح • ومن أعاجيب اللغة العربية وأسرارها الخفية أنها اشتقت الحديد والحد من أصل واحد •

جاء في «معجم مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس : «الحاء والدا ل أصلان : الأول المنع والثاني طرف الشيء» • هكذا ورد في المعجم • وعندنا هما أصل واحد لأن الثاني يرجع الى الأول • وقد جاء في المعجم نفسه : « فالحد الحاجز بين الشيئين أي لكل منهما طرف يفصل عن الآخر ويمنع منه » • فاستعمل المؤلف في شرح الأصل الثاني معنى الأصل الأول الذي هو المنع • وجاء في المعجم أيضاً « ويقال للبواب حداد لمنعه الناس من الدخول » أي يمنع تجاوز طرف المكان • ويستشهد أحمد بن فارس في الحد والمنع بقول النابغة :

الا سليمان اذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الفند

ثم يقول : « وسمي الحديد حديداً لامتناعه وصلابته وشدته ، والاستحداد استعمال الحديد • ويقال حدّت المرأة على بعلها وأحدث وذلك اذا منعت نفسها الزينة والخضاب • والمحادة المخالفة فكأنه الممانعة ويجوز أن يكون من الأصل الآخر • » والأصل الآخر هو الطرف أي يكون المحاد في طرف آخر ممانعاً فيه • وهكذا نرى الأصلين أصلاً واحداً • ولكن المؤلف لزيادة تدقيقه جعله أصلين • ويعضد اتجاهنا قول الزبيدي في التاج : حد كل شيء منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التماسه • »

ملاحظة ثانية في شأن الحديد وهي أنه اذا كانت اللغات القديمة الأصيلة قد مازت حتى في الأشياء الهامدة التأنيث والتذكير واعتبرتهما فيها مجازين فان اللغة العربية لأهمية الحديد واختلاف نوعية القاسي واللين منه فرقت بين الحديد المذكر والحديد المؤنث كما مرفي كلام البيروني الأنف . وفي قصيدة النمرى التي كانت نهزة لهذا الحديث بيت يصف السيف بالذكر .

### ذكر برونقه الدماء كأنما يعلو الرجال بأرجوان ناقع

وفي التاج « والمذكر من السيف كمعظم ذو الماء وهو مجاز ويقال : سيف مذكر شفرته حديد ذكر ، ومتنه أنيث . يقول الناس انه من عمل الجن » .

هذا وفي علم النفس الحديث عداضية الحديد أن الذكورة والأنوثة صنوان في المرء احدى الصفتين تغلب على الأخرى في مجال الطباع . وفي بحوث المفكر السويسري النفساني يونغ ما يشبه هذا التمييز . فهو يرى أن اللاشعور الجمعي لا جنس له فهو ليس بالذكر ولا بالأنثى . ولكن اللاشعور الفردي يتصف بصفات الجنس المقابل تعويضاً وتكملة . فالرجل يتصف لا شعوره بوصف مؤنث يدعوه يونغ بالروح الأنثى anima والمرأة يتصف لا شعورها بوصف مذكر يدعوه يونغ بالروح المذكر animus <sup>(١٩)</sup> ( لفظ الروح في العربية مؤنث ومذكر ) . فكأن الكمال في الشيء على رأي هذا المفكر يقتضي احتواء النقيضين واجتماعهما . وهناك بحوث في علم النفس تتجه هذا الاتجاه وتسلك مسالك مشابهة لا مجال للتعرض لها هنا .

وجاء في التاج أيضاً « والذكورة بالضم قطعة من الفولاذ تزداد في رأس الفأس وغيره » . والفأس هي التي تشق الأرض فكان قطعة الفولاذ المزينة أداة للانتاج واخصاب الأرض . وقد سبق أن السيف المذكر ذو الماء أي ذو اللألاء كأنه الماء وقالوا : سيف أنيث ومثلاث ومثناة ومؤنث أي كهام اذا كانت حديدته لينة .

وقد وصفوا الأمور الصعبة بالذكر . فالذكر من الأيام الشديد الصعب . والمذكر المخوف من الطرق ، والمذكر الشديد من الدواهي كالذكر . ويقال : فلاة مذكر ذات أهوال كما قالوا أرض أنيثة ومثلاث سهلة ، وبلد أنيث لين سهل .

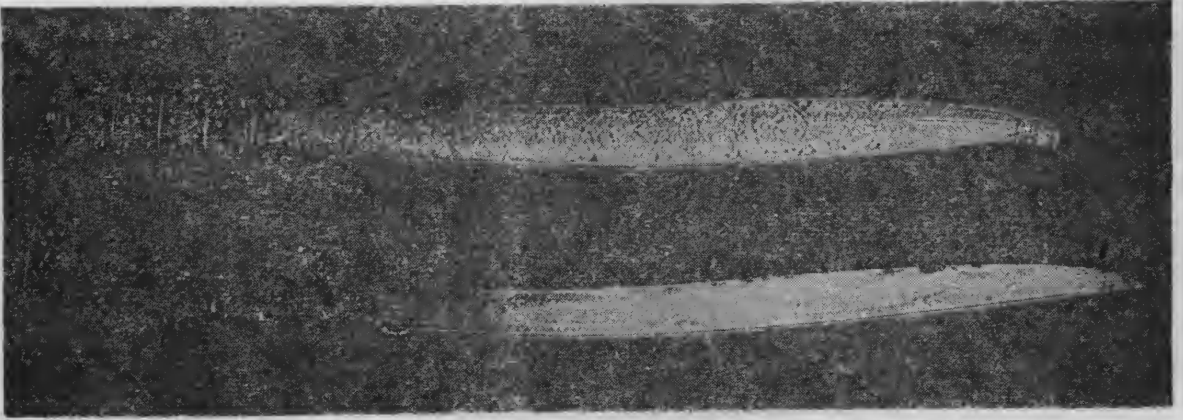
ملاحظة أخرى في الكلام على السيف المذكور قيل فيه انه من عمل الجن ، وهذه اشارة الى مهارة الصانع الذي صنعه . وقد وجد علماء الأنثروبولوجية لدى بعض القبائل شهرة الحداد بالقوة والسحر واحتفاظه ببعض الأسرار . حتى ان حرفة الحداد بلغت قديماً لدى بعض الأقوام حد الأسطورة . فالحداد القديم الأول رسول الآلهة مكلف بتكملة الخلق وتعليم الناس أسرار الحرف المختلفة لدى قبيلة اليو أو النعجة . وكذلك عند قبائل تشامبا والداكا والدُرُو وأمثالهم للحداد رسالة حضارية بالغة . ان الحداد الأول قد علمهم سر النار وانضاج الطعام بها وفن بناء البيوت وايلاد المولود وختانه ودفن الموتى وغير ذلك . وله في هذه الشؤون صفة دينية . بل ان بعضهم يرى أن الحداد الأول كان قبلاً يعيش في السماء ثم نزل الى الأرض .

ونجد أحياناً في القديم أن الحداد ذو صلة بالموسيقى والغناء والزينة والاحكام . وأصل اللفظ الكنماني القديم القاف والياء والنون يشير الى ذلك فقد ورد في لسان العرب : « القين الحداد وقيل كل صانع قين والجمع أقيان وقيون . . . وقان يقين قيانة وقيناً صارقيناً . وقان الحديد قيناً عملها وسواها . وقان الاناء يقينه قيناً أصلحه . وأنشد الكلابي أبو الغمر لرجل من أهل الحجاز .

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا	ظباء بنزي العصعص نجل عيونها
ولي كبد مجروحة قد بدت بها	صدوع الهوى لو أن قينا يقينها
وكيف يقين القين صدعا فتشتفي	به كبد أبت (١٦) الجروح أنينها

ويقال قن اناءك هذا عند القين وقنت الشيء أقينه قيناً لمته . «

وجاء فيه « والتقين التزين بألوان الزينة . وتقيّن الرجل واقتان تزيّن . وقانت المرأة المرأة تقينها قيناً وقينتها زينتها . وتقيّن النبات واقتان اقتيناً حسن ومنه قيل للمرأة مقينة أي أنها تزيّن . قال الجوهري : سميت بذلك لأنها تزين النساء . شبهت بالأمة لأنها تصلح البيت وتزينه ، وتقيّنت هي تزيّنت . . . والقينة الأمة المغنية تكون من التزين لأنها كانت تزيّن . وربما قالوا للمتزين باللباس من الرجال قينة » .



■ سيف وقرايه في متحف استانبول وهما ذوا ضلّج مزدوج محليان بالذهب والفضة والمرجان ■

هذا وقد ورد في اللغة القون القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الاناء .  
وهو يدل على اتصال أصول هذه الألفاظ بعضها ببعض .

أما صناعة السيوف القلعية فتصفها « رسالة الكندي في عمل السيوف » ،  
وذلك أن « يؤخذ من برادة الحديد مناومن القلعي منا فيدافان معاً ثم يؤخذ  
منه درهمان واحمله على ثلاثة أرتال نرماهن ورطلين ونصف شابرقان ، ثم  
صيّره في بوتقة مع عشرة دراهم مغنيسيا ويذاب ويخرج من البوتقة .  
فاعمل منه سيفاً فيجيء حسناً » (١٧) .

### دهدرين سعد القين أي جمعت باطلا الى باطل يا سعد الحداد

ثم ان بعض الظواهر الطبيعية زوجانين متقابلين ودالتين متضادتين  
كالنار مثلاً فهي مطهرة وهي مخربة ، وهي منضجة وهي محرقة ، وهي ذات  
نفع كبير اذا أحسنت الافادة منها ، وهي ذات ضرر بالغ ومدمر ان شبت ولم  
يسيطر عليها . ومن أهم الذين عالجوا النار ومارسوا أمورها وعرفوا بتأثيرها  
والسيطرة عليها القين أو الحداد بالكور . فلا غرو اذا نشأ الى جانب تعظيم الحداد  
وتعزيره لدى بعض القبائل تعزيره ( ضد ) وذمه وخفضه لدى بعض القبائل  
الأخرى . ومن الذم والتشريب ما ورد في اللغة العربية من نسبة الكذب الى القين .  
وذلك أن الحداد كان قديماً ينتقل بين القبائل ليعمل ما يكلف . جاء من أمثالهم

★ الضلّج بفتح في السيوف الاعوجاج . ويعتبر هذا السيف من نوع ياتاغان .

في لسان العرب : « اذا سمعت بسرّ القين فانه مصبح وهو سعد القين • قال أبو عبيد : يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه • قال الأصمعي : وأصله أن القين بالبادية ينتقل في مياههم فيقيم بالموضع أياماً فيكسده عليه عمله فيقول لأهل الماء : اني راحل عنكم الليلة وان لم يرد ذلك ، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله • فكثرت ذلك من قوله حتى صار لا يصدق • وقال أوس :

بكرت أمية غُدوةً برهين      خانتك ، انّ القين غير أمين

قال الجوهري : هو مثل في الكذب • يقال دُهْ دُهْ دُرَّين سعدُ القين » •

ده درين يُروى منفصلاً ويروى متصلاً دهرين • الدهر الباطل ومنه قولهم دُهرين و دُهرية للرجل الكذوب كما جاء في اللسان وفي التاج ، أو دهرين اسم فعل بمسنى بطل وسعد فاعل له والقين صفة وعندئذ يصح التنوين في سعد وقد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين وتضم الدال في سعد • « ورواه أبو عبيدة معمر بن المثنى دهرين سعد القين بنصب سعد وذكر أن دهرين منصوب على اضمار فعل ، وظاهر كلامه يقتضي أن دهرين اسم للباطل تثنية دهر و لم يجعله اسماً للفعل كما جعله أبو علي ( الفارسي ) فكأنه قال اطرحوا الباطل وسعد القين فليس قوله ( قول سعد الحداد ) بصحيح أو أن قيناً ادعى أن اسمه سعد زماناً ثم تبين كذبه ف قيل له ذلك أي جمعت باطلا الى باطل يا سعد الحداد فيكون سعد القين منادى مفرداً والقين نعمته » كما جاء في التاج • أما رواية الجوهري وغيره المثل منفصلاً ففسروا بأن ده فعل أمر من الدهاء الا انه قدّم واوه التي هي لامه الى موضع عينه فصار دُهْ ثم حذفت الواو للساكنين فصار دُهْ كما فعلت في قل ودرين من درّ يدرّ اذا تتابع ويراد هنا بالتثنية التكرار كما قالوا لبيك وحنانيك ودواليك ، ويكون سعد القين منادى مفرداً والقين نعمته فيكون المعنى أي بالغ في الدهاء والكذب يا سعد القين • كما جاء في التاج أيضاً •

ويرد على ذلك أنه كان يجب أن يفتح الدال من دُرين ويجوز أن يقال انها ضمت اتباعاً لضمة الدال من ده •

وقد تكلم في هذا المثل كثير من اللغويين • وكلهم مجمعون على باطل سعد الحداد وكذبه • وورد المثل في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري برقم ٧٨٥ وفي مجمع الأمثال للميداني برقم ١٤٠٠ كما ورد في المستقصى للزمخشري برقم ٣٠١ ج ٢ •

وجاء في المستقصى « دهرين سعدالقين • الدهدر والدهدن الباطل وأصله أن القين يضرب به المثل في الكذب • ثم ان قيناً ادعى أن اسمه سعد فدعي به زماناً ثم تبين كذب دعواه ف قيل له ذلك • أي جمعت باطلين يا سعد القين • دهرين منصوب بفعل مضمر وهو جمعت ، وسعد منادى مفرد معرفة ، والقين صفته ، وهو مرفوع أو منصوب • ومعنى تثنية الباطل أن القين مشهور بالكذب في السرى وقد انضم اليه الكذب في انتحال الاسم فاجتمع كذبان وهذا أصح ما يؤدي اليه النظر والاجتهاد في فسر هذا المثل يضرب لمن جاء بباطلين • هذا ويرى بعض اللغويين أيضاً كما في اللسان « أن القين العبد والجمع قيان • وقول زهير :

### رد القيان' جمال الحي فاحتملوا الى الظهيرة أمر بينهم لبك

أراد بالقيان الاماء أنهن رددن الجمال الى الحي لشد أقتابها عليها ، وقيل رد القيان جمال الحي العبيد والاماء •

وهذا كله يبرز غنى اللغة العربية وثراءها الجم الزاخر بمضامين المعاني التي تمس مختلف الميادين العلمية والفكرية حتى الأنثروبولوجية الحديثة •

### ● الشهب والنيازك عامة والنيازك الحديدية خاصة :

النيازك أجسام صلبة أي كتل من الصخور أو المعدن صغيرة وكبيرة تهوي من السماء على الأرض تناقل سقوطها الأقدمون • وقد ورد ذكر سقوط الحجارة من السماء في القرآن الكريم : « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » (هود ١١-٨٢) ، « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » (الحجر ١٥ - ٧٤) ، « قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين • لنرسل عليهم حجارة من طين » (الذاريات ٥١ - ٣٢ ، ٣٣) ، « وأرسل عليهم طيراً أبابيل •



ترميمهم بحجارة من سجيل» ( الفيل ١٠٥-٣ ، ٤ ) وسجيل طين طين كما طبخ  
الآجر حتى صار في صلابة الحجارة كما يقول المفسرون ومنضود متتابع . ولا شك  
أنها عند وصولها الى الأرض كانت حامية محرقة بسبب احتكاكها بطبقات الجو .  
والمراد في سورة هود والحجر والذاريات قوم لوط وفي الفيل جيش أبرهة . هذا  
ومن جهة ثانية يرى العلماء أن الحجر الأسود هبط من السماء .

وقد حكى بعض المؤلفين في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية سقوط بعض  
الأجسام من السماء وتلبثوا بعض التلبث عندها . وسبق ذكر كلام البيروني في هذا  
الشأن . وروى أبو البركات في كتابه «المعتبر» أن قوماً « رأوا قطعة من نحاس  
نزلت في الساعة كجوارس مجتمع بعضه الى بعض وزنها سبعون منا شبيهة بحجر  
الشاذنج العدسي » والجوارس بالسین والشين حب كالدخن والشاذنج بالبدال  
والذال هو حجر الدم أو أكسيد ونصف الحديد كما سيأتي .

وأول رصد لها حصل حين سقط حجر كبير قرب مدينة انيسشاييم  
بالألزاس سنة ١٤٩٢ رآه الناس فحملوه الى كنيسة هناك وحفظوه . ولكن  
العلماء الأوربيين كانوا يبعدون مجيئها من خارج الأرض . مثلهم في ذلك مثل  
بعض المؤلفين العرب كالجاحظ والبيروني لاتجاههم الموضوعي الحسي اذ لم  
يشاهدوا ذلك هم أنفسهم . ثم لما أن سقط وابل من الحجارة في مقاطعة الأورن  
بفرنسة انتدب المجمع العلمي الفرنسي اذ ذاك لجنة لدراستها . ثم بقي الناس  
لا يطلعون على حجارة من خارج الأرض غير التي تهبط في النيازك والشهب حتى  
رحلة أبولو ١١ الحديثة .

وفوق المعمورة في الوقت الحاضر نحو أربعين طناً هي نيازك شوهد سقوطها  
لحينه . ولكن الى جانبها مقادير أخرى جد كبيرة متفرقة يظن أنها منها ، ولا  
تعلم الأحوال التي سقطت خلالها فوصلت الى الأرض .

ان تلك الأجسام الصلبة تبلغ الأرض دون أن تكون بخرت كلها بالحرارة في  
طريقها اليها . والأثر الضوئي الساطع لمرور جسم بالفضاء الخارجي سببه

احتكاكه لدى هويته المتسارع نحو الأرض بطبقات الجو . وهو احتكاك يولد حرارة عالية تجعل الجسم الهابط متوهجاً عند بلوغه طبقات كثافتها تولد بالاحتكاك ذلك التوهج . وتقدر سرعة انقراض الشهاب الداخل في جاذبية الأرض بين ١٠ و ٧٢ كم في الثانية حسب دخول جو الأرض في اتجاه حركتها أو في عكسه . ويتعاضم التوهج بتعاضم الاحتكاك المرتبط بشدة السرعة وكبر الجرم .

وثمة اعتبارات متفاوتة في أصل النيازك . ظن العالم الفرنسي لبلاس أنها آتية من انفجارات بركانية على القمر . ولا يبعد عند فريق من الباحثين أن يكون بعضها من أصل قمري . ولكن القمر نفسه تتساقط فوقه الشهب . ولما لم يكن له غلاف جوي كغلاف الأرض الجوي كانت الشهب التي تتساقط عليه تحدث في سطحه هوات تبدو كأنها فوهات . وتسمح الأجهزة الدقيقة التي تركها رواد القمر في العصر الحاضر على سطحه بتسجيل الشهب التي تهطل عليه .

ويذهب الظن الى أن المذنبات الكثيرة التي تجري في المجموعة الشمسية قد يتفتت بعضها . ثم ان الأرض في مدارها حول الشمس بسرعة ٣٠ كم في الثانية قد يصادف أن تمر قريباً من بقايا المذنبات فتدخل البقايا في جاذبية الأرض وتتهاوى شهباً ثابتة كأنها وابل في بعض الأحيان . وأكثر ما يحدث ذلك في شهري تموز وآب تظهر الشهب فيها كأنها آتية من برج فرساوس فندعوها فرساوسية ، أو في تشرين الثاني وتظهر كأنها آتية من برج الأسد فندعوها أسدية ثم لا تلبث أن تنحرف قليلاً كأنها تنحدر من برج المرأة المسلسلة فندعوها مسلسلة . وقد يسمي الفلكيون تلك المذنبات التي مرت على تلك الجهات بأسمائها .

بيد أن الاتجاه الحديث في الفلك يفرق بين الشهب الثابتة والنيازك . أما الشهب فهي فتات ذبول مذنبات كل شهاب منها صغير جداً يعادل حبة الرمل أو حبة الرز يراها الساهر في الليالي الصافية الداجية بمعدل عشرة شهب في الساعة . أما التي لا ترى بالعين فهي أكثر عدداً تسقط في النهار ولكنها لا ترى كما تسقط في الليل . وهي في بعض الليالي أكثر هطولا . وقد أشرنا الى ذلك في شهر تشرين الثاني وشهري آب وتموز . وإذا اعتبرنا أن كل شهاب

كتلته وسطياً غرام واحد كان ما تتلقاه الأرض في اليوم الواحد يعادل أربعة وعشرين طناً عند حسابنا للشهب المرئية . أما إذا أضفنا الى ذلك الشهب الخفية فان ما تتلقاه الأرض يتجاوز ألف طن في اليوم الواحد . وهو مقدار ضخم . ولكن ضخامته تبدو ضئيلة اذا اعتبرنا سعة سطح الأرض ولا يكاد يكون شيئاً بالقياس الى كتلة قشرتها . أما النيازك فهي أكبر من تلك الشهب . والفرض في بيان أصلها أنها انفصلت قديماً عن سديم الشمس وتراكمت الأجزاء المنفصلة بعيدة عن مصدرها فدارت كويكبات بين مداري المريخ والمشتري متفاوتة المقادير . وقد يخرج بعضها عن مداره بجاذبية بعض السيارات فيندفع نادياً بهذا الخروج . وقد يعترض له مدار الأرض فيهوي بجاذبيتها عليها . وقد ذهب بعض الباحثين الى انها أجزاء لكوكب ضخم نسبياً تفتت وتشتتت أجزاؤه . ومن المعروف أن أكبر تلك الكويكبات سيريس قطره يقدر الآن بنحو ٧٠٠ كم . ومن الطريف أن نذكر هنا أن الفيلسوف الشهير هيغل قد كتب أطروحته سنة ١٨٠١ بعنوان *de orbitis planetarium* ( أي في مدارات السيارات ) نفى وجود جسم كوكبي بين المريخ والمشتري . كان شأن هيغل شأن بعض الفلاسفة الذين يتكلمون فيما يحسنون وفيما لا يحسنون . ذلك أنه في السنة نفسها كشف الفلكي الإيطالي بياتسي *Piazzi* وجود ذلك الكويكب . ثم كشف الفلكيون سنة ١٨٠١ كويكباً آخر هو بلاس قطره حول ٤٨٠ كم وفي سنة ١٨٠٤ كويكباً ثالثاً هو يونيو قطره ٢٢٠ كم وفي سنة ١٨٠٧ رابعاً هو فستا قطره ٣٨٠ كم . ويقدر اليوم ما يقرب من ثلاثين ألف كويكب في ذلك الحزام الدائر بين المشتري الضخم والمريخ تتفاوت حجوماً بين حجم سيريس وحجم ايكار الذي قطره لا يتجاوز ١٦ كم . وهي كلها تطوف في ذلك الحزام كأنها جبال متزاحمة ومعها مليارات من الكويكبات الضئيلة التي تحاكي كرات الحصى أو حبات الرمل أمكنت دراسة مدارات ما يناهز عدده ١٦٠٠ منها مع حركاتها . وقد تقترب تلك الكويكبات الضئيلة من مدار الأرض فتعوي عليها . ويقدر ما يناهز ١٥٠٠ شهاب كل منها بحجم الكرة الصغيرة يسقط على الأرض في غضون كل سنة . أما الكويكبات التي هي أكبر حجماً فسقوطها على الأرض نادر جداً قد يقع مرة كل عشرة آلاف سنة .



■ فوهة بارنغر في أريزونة ■

انتبه العلماء حديثاً لمساقط هذه الكويكبات على سطح الأرض مما حصل في أزمنة سحيقة • ولا شك أن الغلاف الجوي الأرضي ونباتات الأرض وجبالها وبحارها حمت سطح الأرض في الغالب من آثار ذلك السقوط • هذا ولا يمنع أن يكون بعض النيازك آتياً من مصادر أخرى •

بعض النيازك ضخمة تصل كتلته إلى ما بين عشرة كغ إلى عشرين قبل أن يرتطم بالأرض فينفجر شظايا وأشلاء متناثرة • وقد يتوقد في طريقه فلا يبقى منه إلا رماد أو حبات دقيقة كالرمل تسفيها الرياح وتتبعثر فوق أديم الأرض مختلطة بأشباهاها الأرضية • وأكثر الشهب والنيازك التي تصل إلى الأرض دقيق • على أن بعضها قد يبلغ من الضخامة ما يحفر هوة كبيرة في الأرض لا حبة تبقى فوهة فاعرة كالتي عثر عليها في ولاية أريزونة بأمريكا سنة ١٨٧١ قطرها حوالي ١٢٠٠ مترو وعمقها ١٥٠ متراً درسها العالم بارنغر

Barringer عام ١٩٠٥ فزعم أن قدحفرها وقوع نيزك كتلته جسيمة جداً قبل حقبة سحيقة من الزمان تقرب من خمسة وعشرين ألف سنة . ولم يعثر على آثار النيزك ويظن أنه تطاير شظايا متناثرة عند ارتطامه بالأرض .

دراسة النيازك وأصنافها وأقسام كل صنف مستفيضة . وهي على العموم تصنف ثلاثة أصناف : ما يغلب عليها المعدن ولا سيما الحديد ، وما تغلب عليها الصفة الحجرية أو السيليسية ، وما تتعادل فيها الصفتان الحجرية والمعدنية . ولكل صنف أقسام متعددة بحسب التركيب الكيماوي . والذي يهمنا هنا هو النيازك المعدنية ولا سيما الحديدية لأنها الأصل في بحثنا . ولم يكن الاستطراد حول النيازك والشهب الا مدخلا للوصول إليها . كذلك لا نريد عرض تراكيبيها الكيماوية المختلفة . فلذلك مواضعه في كتب الفلك وفيما ينضوي في بحث الآثار العلوية التي منها الصواعق والشهب وأمثالها .

أكبر النيازك المعروفة التي تتألف من الحديد والنيكل وزنه خمسون طناً وجد سنة ١٩٢٠ في هوبا بالجنوب الغربي من افريقية وقد أبقى في مكانه . ولم يشاهد العلماء حتى سنة ١٩٦١ بين ٩٨ نيزكاً عثروا عليه غير تسعة وثلاثين نيزكاً من حديد . وقد وقع في منطقة جبال سيخوت ألين بـسيبيرية سنة ١٩٤٧ نيزك معدني كتلته ثلاثة وعشرون طناً .

ووجد فوق شعاف الجبال من شظايا النيازك والشهب ما هو حديد فقط اذ اختلطت بقايا الشهب الحجرية بأشباهاها الأرضية .

ذكرنا أن معالجة الحديد معروفة منذ العصور قبل التاريخية . وقد اعتمد انسان العالم القديم ( آسية وأوربة وافريقية ) زُبَر حديد النيازك في صنع الأدوات . أما في العالم الجديد (أمريكة وأسترالية) فقد غُبرت في الغالب خارجة عن الاستعمال مدة طويلة .

وتعرف زُبَر الحديد تلك بأنها تحوي حديداً بحالته المعدنية . وكأنها كانت قبلا في وسط مرجع بأن يحتوي على غاز الهيدروجين  $H_2$  أو النشادر  $NH_3$  أو المتان  $CH_4$  أو مرت بذلك الوسط وقد أشرنا الى ذلك آنفاً . ويظن أن

الجو القريب من المشتري فيه هذه الغازات • ذلك أن الحديد الأرضي في غالبيته متأكسد أو هو في داخل أملاح • وهذا ما يقتضي العودة الى تأمل مكانة الحديد وأنواعه •

### ● عود الى الحديد ومكانته وتفكير البيروني في انزاله :

الحديد مما غير وجه المعمورة وأقام دعامة الحضارة الانسانية • ان الأدوات والآلات والسلع المصنوعة تعتمد في كثرتها الكاثرة على الحديد ، حتى يمكن القول ان الانسانية ما زالت حتى الوقت الحاضر في عصر الحديد ، مع أن صناعة الحديد الأرضي وتعدينه ومعالجته ابتدأت حول ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد كما تقدم ذكر ذلك ، هذا كله الى امتلاك الانسان في العصر الحالي أشكالاً متنوعة من المعادن ومن أصناف الطاقة •

مصادر الحديد فلزاته والمصنوعات القديمة التالفة قديمة وحديثة • انه كثير الانتشار في الأرض • فهو العنصر الرابع في رتبة الانتشار على القشرة الأرضية • ويقدر أنه يؤلف ٥ في المائة من وزن هذه القشرة • أهم فلزاته الحجر المغناطيسي  $Fe_3 O_4$  ( الحديد فيه ٧٢٤ في المائة ) وأكسيد ونصف الحديد  $Fe_2 O_3$  أو حجر الدم الأحمر أو الشاذنج أو الشاذنة (الحديد فيه فيه ٦٦٪) وأكسيد ونصف الحديد المائي أو حجر الدم الأسمر  $Fe_2 O_3 \cdot H_2O$  ( ٦٢٨٪ ) وفحمات الحديد أوسيدروز (٤٨٪) ثم مركبات السيليكات والسيليكو ألومينات المختلفة •

الحديد قابل للطرق والسحب • رقمه الجوهري في التصنيف الدوري ٢٦ رمزه كما سلف Fe يمكن تطريقه وتجليسه بالحرارة دون اذابته • خواصه مرتبطة بدرجة صفائه • يمكن تبديله بالحرارة وبإضافة مقدار قليل من الفحم أو بعض العناصر • لكنه معرض للأكسدة اذا سرعان ما يتأكسد فيصداً • وهذه الصفة تفسر قلة ما بقي من الآلات المصنوعة منه بالقياس الى ما صنع قديماً من الذهب والفضة والنحاس • له أربعة متماكنات ثابتة كتلتها على التوالي ٥٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وكثرة المتماكن تنحدر مع هذا الترتيب • وله ستة متماكنات

مشعة مصطنعة كتلها ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ مدات أدوارها متفاوتة .  
ومكانة الحديد لا تقوم في صناعة الآلات وأدوات الحضارة الحديثة فقط بل تقوم  
قبل ذلك في وظيفته الحيوية ، اذ لا تخلومنه الكائنات الحية نباتاً أو حيواناً أو  
إنساناً . فهو يدخل في بناء خضاب الدم وفي مادة النبات الخضراء ( الكلوروفيل  
أو الخضر ) ، وهما ما هما في تنفس النبات والحيوان . ويدخل فوق ذلك في  
بناء كل خلية بشكل خميرة ضرورية لتنفسها وعملها . وليس هذا موضوعنا .  
وانما نريد أن نعرض اتماً للبحث من حيث نزول الحديد من السماء أو  
إخراجه من الأرض ما ورد في التنزيل الكريم : « وأنزلنا الحديد فيه بأس  
شديد ومنافع للناس » ( سورة الحديد ٢٥ - ٥٧ ) .

قال البيروني في « الجماهر » بصد ذكر الحديد : « ونزول الثقل غير  
مستنكر . لكن قوله جل اسمه لا يرجع إليه . انما معنى نزول الحديد خلقه  
واعداده لمصالح البرية في الدفاع والانتفاع . لكن عادة الناس جرت في توقع  
الغيث بالغيث والعذاب والزجر من جهة العلو . وهذا التأويل هو الصحيح  
عندنا لأن الحديد الآتي من السماء قليل بالقياس إلى حديد الأرض .

□ خاتمة :

أصبحت السيوف القلعية وغيرها في ذمة التاريخ العربي . اذا استعملها ضباط  
الجيوش فللمشارة والزينة . وشتان ما هي وآلات الفتك الجهنمية الحديثة التي تعتمد على  
الحديد أيضاً . ونحن وان كنا نكره السيوف والخناجر والسكاكين والمدى المشحونة ونزداد  
كرهاً لتلك الآلات الفتاكة الا في سبيل رد الحيف والعدوان والدفاع عن النفس والذود  
عن الحمى الا أن السيوف القلعية ما زالت ماثلة في تاريخ الأدب والتراث العربيين .  
وما سلف شرحه في بيان معنى السيف القلعي الوارد في بيت النمرى وفي بعض الكتب القديمة  
يوضح أن الشعر العربي التالد ليس ديوان العرب فقط بل هو ديوان نصيب كبير من  
تراث الانسانية ، ترفده في ذلك خزائن لغتهم الثرية وبحار علومهم الزاخرة .

## الحواشي والهوامش :

١ - مقامات الحريري : حاشية على المقامة الشعرية .

٢ - جمع مفتاح بفتح الميم أي خزانة .

٣ - عماد الرصيف الكريم الأستاذ الدكتور شاعر الفحاح في مجلة مجمع اللغة العربية فتناول الكتاب بالثناء والتقدير واستكمل بعض أخبار الشاعر وجاء في شأن تحقيق الشعر بملاحظ مفيدة تدل على سعة اطلاع وحسن تات ورحابة باع .  
الجزء الرابع ، المجلد السادس والخمسون .

٤ - تحقيق عبد السلام هارون .

٥ - جد الخليفة الهادي في البحث عن سيف عمرو بن معد يكرب حتى وجده فاشتراه بمبلغ طائل . والسوط الخلط والزعاف بالزاي والذال السم السريع . والجفون جمع جفن وهو قراب السيف .  
ورواية ابن خلكان ونحن نفضلها لما سيأتي : ثم شابت فيه الزعاف القيون . والقيون جمع قين وهو الحداد .  
هذا وقد اورد صاحب زهر الآداب هذا الشعر منسوباً إلى ابن يامين البصري في الجزء الثالث . قال : « ولا صار سيف عمرو بن معد يكرب وكان يسمى الصمصامة إلى الهادي وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي فاشتراه موسى الهادي بمال جليل وكان أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء . ودعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة . فقال : قولوا في هذا السيف . فبدر ابن يامين البصري فقال . حاز صمصامة . . إلى آخر الأبيات التي عددها تسعة . ورواية الحصري أيضاً شابت فيه الذعاف القيون .

ويؤكد صحة الرواية هذه أن لفظ المنون الوارد في رواية الحيوان جاء قافية للبيت الذي قبله في رواية زهر الآداب:

أخضر اللون بين خديه برد من ذعاف يعيس فيه المنون

الطبعة الأولى ج ٣ ص ١٩٧ . انظر الوحشيات ٢٨٠ والعقد الفريد ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ وثمار القلوب للثعالبي ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ونهاية الأرب ٢١٣/٦ . وذكر مواضع هذه الأبيات الآتية وغيرها السيد مطاع الطرايشي في كتابه « شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٦ - شبه السيف بالبرق حين يلعب . وهو كمي أي ضجيجي الذي يلازمه . كانوا يحترزون فلا يفارقون أسلحتهم . وقد جاء في شعر امرئ القيس :

ايقتلني والمشرقي مضاجعي ومستونة زرق كانياب اغوال

٧ - أباطي : تحت أبطي جاء في اللسان « قال ابن السرياني: أصله أباطي فخفف بإاء النسب وهو منسوب إلى الأبط . »  
٨ - المشرقية نسبة إلى مشارف الشام .

٩ - ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن « القلعة بالفتح والسكون اسم معدن ينسب إليه الرصاص الثخيد قيل هو جبل بالشام » ثم يشير ياقوت إلى خبر بن مسعر بن مهلهل في رحلته إلى الصين ثم رجوعه منها إلى كنه . « وهي أول بلاد الهند من جهة الصين . . . وفيها قلعة عظيمة فيها معدن الرصاص القلعي لا يكون إلا في قلعتها . وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة . » ويذكر الجواليقي في المغرب : « ويقال رصاص قلعي بفتح اللام . والاسكان قليل . وهو فارسي وأصله كلمى » وينقل عنه الشهاب في شفاء الغليل .  
وأكثر الذين كتبوا في السيوف المؤلفين الحديثين يذهبون إلى أن القلعية منسوبة إلى موضع دون أن يحققوا في ذلك .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : « والقلعة صخرة تنقلع عن جبل منفردة يصعب مرامها . وبه تشبه السحابة العظيمة . فيقال قلعة والجمع قلع . قال ( عمرو بن أحر ) :

تفقا فوقه القلع السوادي وجن الخازباز به جنونا



والغازباز فيه سبع لغات ( تاج العروس ) وله خمسة معان . والمراد هنا ذباب يكون في الروض . والبيت وصف  
لكلا او روض . واللفظ اسمان جملا واحدا وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر .  
والبيت اورده البيروني كما يورده كثير من كتب اللغة .

١٠- لعل الأمل به أي تشبه بالرصاص في اللون او بالشاربقان في الصلابة .

١١- المفضليات ج ٢ سنة ١٣٦٢ هـ . وقد أخطأ ناشر الجواهر إذ نسبته إلى الحصين بن الحمام المري .

١٢- هذا البيت ليس في ديوان العجاج ( حاشية الجواهر ) .

١٣- البيت يروى لسيف بن ذي يزن ( حاشية الجواهر ) .

١٤- الردغة الماء والطين وكذلك الوحل الشديد والمردغات محلها .

١٥- المن كيل او وزن ( المراد هنا الوزن ) وهو في لغة تميم كالمناء من الناقص في لغة غيرهم . وجمع المن امانان ومثنى منا  
متوان ومنيان والجمع امانا وامن ومنني ومنني ولكن النسخة المطبوعة أثبتت متاوين وربما كان هذا اللفظ مستعملا في لهجة  
تلك البلاد او كان الأصل من منا إلى متاوين فوقع التحريف .

١٦- أثبتنا رواية الديوان . وفي زهر الآداب ج ٣ ص ١٩٨ ، فإذا رأينا رأينا علة .

١٧- Mircea Eliade, Forgerons et Alchimistes, Flammarion .

١٨- انظر المادة في تاج العروس وهو الحجر المدور المحدد وجمعه ظُرَّان وظِرَّان وظِرَّار وظِرَّة . والمِظرة الحجر يقدر  
به النار .

١٩- انظر في كتابنا تمهيد في علم الاجتماع بحث التحليل النفسي .

٢٠- الأبت . الاحتدام وشدة الحرارة .

٢١- حقق الرسالة ونشرها الدكتور فيصل دبدوب ص ٣٩ . هذا ومن الكتب الجيدة « السيف في العالم الإسلامي » تأليف  
الدكتور عبد الرحمن زكي . اكتفى المؤلف فيه مما هو وارد هنا بالإشارة إلى قصة صمصامة عمرو بن معد يكرب  
ص ٣٨ - ٣٩ وإلى أن السيف القلعي منسوب إلى « قلعة » بالهند كما ذكرها مسعر بن مهلهل الشاعر في خبر  
رحلته إلى الصين ص ٢٣٨ ،

لزيادة الاطلاع على شؤون السيوف يرجع إلى الكتب الآتية ، وإن لم يكن فيها غناء لموضوعنا :

١ - الحياة العسكرية عند العرب ، احسان هندي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٤ .

٢ - الفن العربي في صدر الاسلام عبد الرؤوف عون ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م .

٣ - Manuel d'art musulman, Gaston Migeon, Paris, 1927 . فيه فصل عن الأسلحة عند المسلمين .

٤ - Les armes blanches, Islam, a b c Collection, 1975 . وهو بطبعة الأنيق وصوره الممتازة من أجود المراجع .

★ ★ ★

# لغة لعروبة

## للشاعر القروي

هي هذه اللغة الخصبة الخلاقة المطواع • لغة أهل  
الجنة • اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن • اللغة التي  
ملكتم فصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي ، وألفت بين  
قلوبهم في كل قطر سحيق • والتي يتناشد ألعانها بلا بل  
الشعر من الخليج العربي الى المغرب الأقصى ، الى كل  
مغترب قذيف ، فتتجاوب قلوبهم أصداءها • وتعلو على  
كل صوت شعوبي نكير • بها التفاهم وبها الألفة وبها  
الوحدة • فيها القوة فالهبة فالسلم فالنعيم المقيم • كل  
عادل الى العامية عنها ، مبشر بها دونها ، انما هو كافر  
بها وبكم أيها العرب ، دساس عليها وعليكم • كائد لها  
ولكم • عامل على قتلها وقتلكم • فعلّموا القرآن  
والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم •  
لتقوّم بالفصحى ألسنتكم • وتتقوى ملكاتكم ، ويعلّو  
نفسكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة • وتشرق  
طروسكم بساحر البيان •

رشيد سليم الخوري  
( من مقدمة ديوانه )